المصدر: الاهـــرام

التاريخ: ١١ مـــارس ١٩٩٩

قراءة فى ظاهرة «العنف للتسلية»

# ..كيف نحمى أطفالنا من خطر الأفلام والمسلسلات؟

**من بين أهم التحديات التى تواجهنا.مثلما تواجه غيرنا.فى عالم اليوم،ذلك التحدى المتعلق بكيفية مواجهة ظاهرة العنف المتفشية فى جميع وسائل الإعلام سواء فى أفلام السينما أو مسلسلات التليفزيون وعلى صفحات الصحف، والتى يوشك البعض على ادمان مشاهدتها أو قراءتها باعتبارها إحدى أدوات التسلية التى تتفق مع ايقاع العصر الذى نعيشه.**

**وفى معظم دول العالم المتقدم تدور حلقات نقاش واسعة حول هذه الظاهرة المخيفة التى تمثل هاجسا مقلقا لهذه المجتمعات التى قطعت شوطا طويلا على طريق التقدم العلمى والرفاهية الاقتصادية، ولكنها باتت تعانى تحديات اجتماعية وسلوكية تنذر بمخاطر مفزعة لأجيال المستقبل.**

ثمة سؤال بات يفرض نفسه على كل حلقات النقاش - ولابد أن نلتفت نحن أيضا إليه - وهذا السؤال يقول: ماهى انعكاسات مشاهد العنف والرعب التى ترتدى ثوب الوحشية على نفسية الأطفال الصغار؟

وإلحاقا لهذا السؤال يجىء سؤال آخر هو:

**إلى أى حد يجب أن يخضع الانتاج الفنى والإعلامى الذى يجسد مشاهد العنف لمقص الرقيب؟.. وما هو الحد الفاصل بين حرية التعبير التى يجب أن يحترمها الجميع وبين متطلبات توفير سبل الوقاية والحماية للأجيال الجديدة من خطر وباء العنف الذى ينتشر بسرعة فائقة عبر الفضائيات وفى ظل ثورة الاتصالات؟**

ولا شك أن هذين السؤالين المطروحين يعكسان ذعرا حقيقيا من مخاطر استمرار بث مشاهد العنف باسم حرية التعبير دون تقدير للمخاطر التى ستترتب على ذلك، خاصة وأن نسبة المشاهدين لهذه النوعية من الأفلام والمسلسلات باتت فى تزايد مستمر باعتبارها نوعا من أنواع التسلية، ودون ادراك إلى أنها تسلية قاتلة مدمرة يتسلل سمها الزعاف إلى أعماق الأطفال، وبالتالى فلن يكون مستغربا - اذا استمرت هذه الظاهرة - أن يفيق العالم بعد سنوات لكى نكتشف أن المجتمع البشرى قد تحول إلى غابة من الوحوش التى يأكل بعضها بعضا.

ومن بين أحدث الكتب العالمية التى رصدت هذه الظاهرة ولخصت حلقات النقاش الدائرة فى عدد من العواصم الأوروبية حولها، كتاب MAYHEM ومعناه «الأذى المتعمد» للكاتبة السويدية «سيسيلا بوك» الذى ترصد فيه «ظاهرة العنف بغرض التسلية والترفيه».. وتعود بالظاهرة إلى جذورها وكيف أنها ليست وليدة اليوم، وانما نشأت منذ أيام الرومان.. ثم كيف تطورت حتى الآن.. وكيف يجب التعامل معها دون فرض قيود على حرية التعبير من ناحية، وحماية المجتمع الإنسانى من أية مخاطر جديدة يمكن أن تنشأ عنها سواء على مستوى الأفراد أو العائلات.. أو مستوى الدول والشعوب.. بل انها تتحدث أيضا عن كيفية علاج التشوهات القائمة حاليا.

ويهمنى قبل أن نبدأ فى طرح هذه الدراسة المهمة أن أشير إلى أن مؤلفة الكتاب «سيسيلا بوك» ولدت فى استكهولم بالسويد وتلقت تعليمها فى سويسرا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث حصلت على درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة هارفارد عام ١٩٧٠، ثم التحقت بالتدريس الجامعى وعملت أستاذا للفلسفة بجامعة «برنديز» وحصلت على لقب زميلة بمجلس الأمناء فى مركز «شور نشتاين بارون» للصحافة والسياسة الحزبية والسياسة العامة بمدرسة جون كيندى بجامعة هارفارد.

وحاليا تعمل «سيسيلا بوك» محاضرة فى مركز هارفارد لدراسات التنمية والسكان، وتكتب مقالات وتحليلات منتظمة فى عدد من وسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية.. وقد صدر لها العديد من المؤلفات التى حظيت بجوائز أكثر الكتب مبيعا ومن بينها كتاب «الكذب خيار أخلاقى فى الحياة العامة والخاصة» وكتاب «الأسرار بين الكشف والاخفاء» وكتاب «مذكرات فتاة» وكتاب «قيم عامة»...الخ.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

# مرسى عطا الله

فى البداية لابد من الاعتراف بأن العنف ظاهرة قديمة وان الإنسان عرف العنف منذ بدء الخليقة.. منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل.. وفى الزمن الأول كانت القبائل تتبادل القتل والسلب والأذى.. ولكن عندما جاء الرومان كانوا أول من اتخذ من العنف وسيلة للترفيه والتسلية.. هكذا يقول التاريخ!

وقد عبر عن هذا الواقع التاريخى المؤرخ القديم نيقولا الدمشقى عندما قال: «ان المضيف قد يدعو ضيوفه لوليمة عشاء ولكن الوليمة لاتقتصر على مجرد تناول الطعام والشراب، وانما الضيوف مدعوون أيضا لمشاهدة مباراتين أو ثلاث مباريات للمصارعة حتى الموت، بينما هم ياكلون ويشربون.. وعندما يجهز المصارع على خصمه فيفصل رأسه عن جسده بضربة سيف أو بلطة أو شوكة أو مطرقة، يضج الضيوف بالهتاف والتهليل من فرط الابتهاج بمنظر دماء القتيل!».

وهذه العروض الدموية لم تكن مقصورة على الولائم الخاصة، وانما كان لها مسارح عامة يرتادها الألوف تماما مثلما يرتادون اليوم عروض المصارعة الحرة مع فارق واحد هو أن المباراة هنا لابد وأن تنتهى بمصرع المهزوم!

ثم طور الرومان عروض المصارعة حتى الموت فاضافوا إليها المصارعة مع الوحوش الكاسرة مثل الأسود والنمور، على أن يكون الطرف الآخر آدميا محكوما عليه بالاعدام أو أسيرا قاده سوء الحظ أو قادته الهزيمة إلى هذا المصير فيقاتل الوحش حتى يسقط بين أنيابه ومخالبه وسط تهليل المشاهدين وفرحهم الجنونى.

وفى هذا السياق تحدثنا «سيسيليا بوك» مؤلفة الكتاب عن وثيقة مكتوبة يرجع تاريخها إلى عام ٦٤ قبل الميلاد ورد بها: «أن القنصل السابق «بروتس بيرا» أقام بالاشتراك مع أخيه حفل مصارعة حتى الموت تضمن ٣ مباريات على سبيل التأبين لوالدهما بعد وفاته، وان المباريات الثلاث انتهت بذبح ثلاثة مصارعين تمجيدا لذكرى الراحل العزيز وحتى تستقر روحه هادئةمسرورة فى مرقدها الأخير!».

وحتى القرن الثالث الميلادى كانت صالات «المصارعة حتى الموت» سواء بين المصارعين الآدميين أو بينهم وبين الوحوش الكاسرة، قد أصبحت جزءا من الحياة اليومية للرومان.. حيث يستعدون لها ويلبسون أفخر الثياب ويصحبون زوجاتهم أو عشيقاتهم إليها.

وفى كثير من الأحيان كان بعض النبلاء يتبرعون بتقديم الطعام للمتفرجين حتى تكون المتعة كاملة والمسرة بغير حدود، بينما الفرق الموسيقية تعزف ألحانها المرحة لتختلط مع زئير الجماهير.

وفى الملحمة الشعرية المعروفة «المتفرجون» التى كتبها الشاعر الرومانى «مارشال» عام ٨٠ بعد الميلاد يصف الاحتفال العظيم الذى أقيم بمناسبة افتتاح مسرح «الكولوسيوم» فتكاد كلماته أن ترقص من فرط الاعجاب بروعة مباريات الموت مع الوحوش الكاسرة.. ويتوقف بنوع خاص عند سجين حكم عليه بمصارعة دب «كاليدونى» ضخم فلم يصمد أمام الدب أكثر من بضع ثوان.

ويستطرد الشاعر الرومانى «مارشا
المشهد بلذة واضحة فيقول: «ا
السجين وفصل أطرافه عن جسد

«الذراعان والساقان» لاتزال تنبض وترتعش، بينما الدب ينهش بمخالبه وأنيابه جسد السجين، والمشاهدون يصرخون بجنون».

وعند هذه النقطة تتوقف «سيسيليا بوك» مؤلفة كتاب «الأذى المتعمد» الذى تناقش فيه ظاهرة «العنف من أجل التسلية» لتسأل أو لتتساءل:كيف أن هذا الضرب من «الترفيه» الدموى واللا انسانى لم يحرك مشاعر الفلاسفة والكتاب الرومان العظام من أمثال «ماركوس» أو «ريلوس» أو «ايكيتيتوس» فلم تصدر من أحدهم كلمة نقد واحدة رغم كل ماحفلت به كتاباتهم من معانى النبل والطيبة والعدل والإيمان بالانسان؟.

وأغلب الظن لتفسير هذا الصمت المريب من كتاب وفلاسفة عظام فى ذلك الوقت هو أن هذه الحفلات الترفيهية المصنوعة بالدم البشرى، كانت قد أصبحت أمرا معتادا بحيث لم يعد أحد يفكر فى نقده أو استنكاره، حيث كانت الاحتفالات من هذا النوع محلا للاعجاب والسرور فى أحاديث العامة والخاصة الذين لم يكن يصدر عن أحدهم أى نوع من الاستنكار والادانة، إما بسبب الاعتياد على ذلك، أو بسبب الخوف من غضب النبلاء الذين كانوا يعشقون هذه الهواية ويتحتم على الجميع أن يقبلوا بذلك، وإلا فإن المصير لن يختلف عن مصير من يلقى بهم أمام الوحوش الجائعة فى مثل هذه المباريات.

**ولست أظن أن بمقدورنا أن نواصل الصمت - مثلما فعل قدامى الفلاسفة والمفكرين - ونحن نرى بأعيننا بشائر التمهيد للعودة إلى لغة ومشاهد العنف كإحدى وسائل التسلية والامتاع عبر وسائل الإعلام التى تقتحم البيوت دون استئذان!**

●●●

وربما يخرج علينا من يقول إن مايحدث على شاشة التليفزيون «الآن» يختلف تماما عن ذلك العنف المرفوض الذى اعتاده الرومان «قديما»، لأن مشاهدى التليفزيون ليسوا حشدا من السكارى جاءوا خصيصا للاستمتاع بمشاهد القتل واراقة الدماء، وانما هم أفراد أو أسر يجلسون فى بيوتهم على مقاعدهم الوثيرة ولديهم فرصة كاملة للتأمل فيما يشاهدون أو الانصراف عنه دون خضوع للهوس الجماعى مثل الذى كان يحدث فى ملاعب الرومان!

بل ان هناك من سيخرج علينا ليقول إن مشاهدى السينما أو التليفزيون يدركون تماما أن مايرونه على الشاشة الكبيرة أو الصغيرة انما هو مجرد تمثيل وان مايتابعونه من مشاهد عنف ليست مشاهد حقيقية، وانما هى مجرد خيال.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وينسى هؤلاء وهؤلاء أنه كثيرا ما يتطابق الواقع مع الخيال.. وفى هذا الصدد تستشهد «سيسيليا بوك» بواقعة حدثت قبل عدة سنوات وبالتحديد عام ١٩٩٢ عندما عرض فيلم «السلاح الفتاك» الجزء الثالث منه لأول مرة.. فقبل العرض الافتتاحى ببضعة أسابيع شهدت مدينة لوس انجلوس موجة هائلة من الاضطرابات والحرائق وأحداث العنف أسفرت عن مصرع ٣٧ شخصا واصابة أكثر من ١٥٠٠ آخرين عقب تبرئة المحلفين «البيض» لساحة رجال الشرطة «البيض» الذين كانوا قد اعتدوا بشدة على شاب «أسود» اسمه رودنى كينج ونقلت شاشات التليفزيون الأحداث الخطيرة إلى جميع أنحاء العالم.

وكما نرى فإن هذه الاضطرابات قدمت صورة حية تلاشت فيها تماما كل الفوارق بين الواقع والخيال، ليس فقط أمام أنظار الجمهور العادى، وانما أيضا أمام أعين منتجى ومخرجى وممثلى هوليوود الذين كان لسان حالهم يقول وهم يشاهدون أعمال العنف الحقيقية أنهم كانوا يستطيعون اخراج تلك الأحداث على نحو أكثر اثارة باستخدام ما هو متوافر لديهم من أحدث أجهزة التصوير وأساليب الخداع السينمائية.

وإذا كان صحيحا أن العنف والقتل فى السينما

والتليفزيون مجرد خيال فإن الذين يشاهدونه رجالا ونساء وأطفالا حقيقيون وليسوا خيالا ومن ثم فإن تأثيره عليهم أيضا حقيقى وليس خيالا.

وعلينا ألا نتجاهل نقطة مهمة وهى أن المقياس الفنى لبراعة المخرج هو قدرته على الاقتراب بخياله من الحقيقة وإيهام المشاهد بأن مايراه شيئا حقيقيا.. ثم ان تكنولوجيا الفيديو أصبحت تتيح بسهولة امكانية تكرار مشهد العنف مرتين وثلاث مرات وأكثر، وهو مايساعد على ترسيخ منطق العنف فى ذهن المشاهد.. ونفس تكنولوجيا «الفيديو» تتيح أيضا امكانية محو مشاهد العنف، ومن ثم فإن الضرر من توظيف التكنولوجيا فى التكرار أو توظيفها فى المحو والمنع، يتوقف على أى الخيارين سيتجه المخرج؟.

●●●

ولست أظن أنه يغيب عن الذين يفهمون فى حرفية العمل الفنى «سينما أو تليفزيون» ان الخطوط الفاصلة بين الحقيقة والخيال تبدو باهتة جدا بالنسبة للأطفال بصفة خاصة.. فالطفل فى الثالثة أو الرابعة من عمره لايميز بين هذا وذاك.. وحتى الأطفال الأكبر سنا يكونون أميل إلى استنتاج أن العنف الذى يرونه على الشاشة انما هو انعكاس لما يحدث فى الحياة خصوصا اذا كانت لديهم تجارب شخصية من سوء المعاملة فى محيط عائلاتهم أو مع جيرانهم.

ومعنى ذلك أن الأطفال - صغارا وكبارا - معرضون لأن يتأثروا سلبيا بهذا الكم الهائل من العنف الترفيهى الذى تعرضه شاشة التليفزيون لأنهم لم ينضجوا بعد ويصلوا إلى درجة القدرة الكافية على التمييز بين مايشاهدونه على الشاشة وما يجرى فى واقع الحياة.

ولعل ماحدث فى بريطانيا قبل عدة سنوات هو خير دليل على صحة مانقول به وننبه إليه ونحذر منه.. فقد حدث أثناء عرض مسلسل «قصة طفل» أن أقدم طفلان لم يتجاوزا العاشرة من عمرهما على احتجاز طفل «معوق» أصغر منهما سنا ثم قاما بتعذيبه قبل أن يقتلاه.. وفى نفس الفترة تم اختطاف صبية صغيرة فى نفس السن تقريبا، وتعرضت للتعذيب ثم أشعلت فيها النيران على يد مجموعة من زملائها وهم ينشدون أغنية المسلسل التى تقول على لسان الشرير: «أنا تشوكى.. هل ستلعبين معى».

وأغلب الظن أن الأطفال القتلة كانوا يتصورون بالفعل أنهم يلعبون مثل «أنا تشوكى»، لأن الأمر لم يكن بأى منظور تحليلى يبتعد كثيرا عن كونه نوعا من المحاكاة والتقليد لما شهدوه على شاشة التليفزيون فى مسلسل «قصة طفل».

وتقليد العنف ومحاكاته عند الأطفال ظاهرة قديمة قدم التاريخ الإنسانى ذاته، واذا لم يتم ترشيد هذه الظاهرة فإن المحاكاة التى يمارسها الأطفال على سبيل اللهو والتسلية قد تتحول كما قال الفيلسوف الاغريقى العظيم افلاطون فى رائعته «جمهورية افلاطون» إلى شىء مفزع ورهيب، لأنها قد تصل إلى حد تشويه أكثر الناس لطفا ووداعة.

وربما يحتاج الموضوع إلى مزيد من القراءة والابحار، لعل وعسى أن نستطيع الاسهام بأى قدر من الاجتهاد فى تسليط الضوء على هذا التحدى الذى لانملك منه فكاكا وهو.. كيف نحمى أطفالنا من أفلام ومسلسلات العنف؟

ربما نكون بحاجة إلى أن نسأل أنفسنا.. هل أفلام وبرامج شاشة التليفزيون تقدم ترفيها لا ضرر منه.. أم أنها أصبحت كبش فداء أو شماعة نعلق عليها عجزنا عن اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الجريمة.. ثم إلى أى مدى تساعد هذه الأفلام والمسلسلات والبرامج على اضفاء الشرعية على العنف وإعلاء شأنه لدى المشاهدين؟!

فى الأسبوع المقبل قراءة جديدة ومحاولة أخرى للاجابة على الأسئلة المطروحة..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية